



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

مراجعة كتاب



مراجعة كتاب
بين الفاعلية البشرية وبنية النظام الاقتصادي: قراءة
موسعة في كتاب 1873 وإسهاماته في تاريخ الأزمات

لياقت أحمد*: 1873: عائلة روتشيلد،
والكساد الكبير الأول، وصناعة العالم
الحديث

المراجع: جون أي مور**

ترجمة: مصباح كمال***

Liaquat Ahamed. 1873: The Rothschilds, the First Great Depression, and the Making of the Modern World. Penguin Press, 2026. xxii + 346 pp. \$32 (hardcover), ISBN 978-1594204173.

Reviewed for EH.Net by John A. Moore, Walsh College.

Published by EH.Net (September 2026).

لياقت أحمد. 1873: عائلة روتشيلد، والكساد الكبير الأول، وصناعة العالم الحديث. دار نشر "بنجوين برس" (Penguin Press)، 3462026. صفحة xxii + صفحة تمهيدية. السعر: 32 دولاراً (غلاف مقوى)، الرقم الدولي المعياري للكتاب (ISBN): 978-1594204173.

مقدمة هيئة التحرير

تنشر شبكة الاقتصاديين العراقيين هذه المراجعة العربية لكتاب لياقت أحمد 1873: عائلة روتشيلد، والكساد الكبير الأول، وصناعة العالم الحديث، لما يثيره الكتاب من أسئلة تتجاوز حدود الأزمة المالية التي اندلعت في سبعينيات القرن التاسع عشر. فقراءة أزمة 1873 تتيح إعادة النظر في العلاقة بين الائتمان والمضاربة وتدفقات رأس المال والتغير التكنولوجي، كما



مراجعة كتاب

تطرح أسئلة لا تزال وثيقة الصلة بعالمنا الاقتصادي المعاصر حول تقدير المخاطر وحدود القدرة على التنبؤ بالأزمات.

وتكتسب المراجعة أهمية إضافية من كونها صادرة عن شبكة التاريخ الاقتصادي *EH.Net*، ومن ترجمتها إلى العربية بقلم مصباح كمال، الذي أضاف إلى النص الأصلي ملحقين تحليليين. يتناول الأول التأمين بوصفه مدخلاً إضافياً لفهم مفهوم الخطر وحدود ما يمكن للمؤسسات الاقتصادية تأمينه أو توزيعه، ولا سيما في مواجهة مخاطر المضاربة والأسواق المالية. أما الثاني فيستحضر قراءتي كارل ماركس وإريك هوبزباوم لأزمة 1873، سعياً إلى وضع الأزمة ضمن تاريخ أوسع للرأسمالية وتجاوز التفسير الذي يقتصر على القرارات الفردية والأحداث المالية المباشرة.

وترى هيئة التحرير أن هذه الإضافات لا تستبدل حجة الكتاب أو المراجعة الأصلية، وإنما تفتح حواراً حولها وتوسع مجال قراءتها، ولا سيما بالنسبة إلى القارئ العربي المهتم بتاريخ الأزمات الاقتصادية وتطور المؤسسات المالية ومفهوم المخاطر. كما أن الإشارة إلى تداعيات الكساد الطويل في الدولة العثمانية، وما يمكن أن يعنيه ذلك بالنسبة إلى الولايات العراقية آنذاك، تضيف بعداً إقليمياً يستحق مزيداً من البحث التاريخي والاقتصادي.

وبذلك تقدم هذه المادة للقارئ ليس فقط مراجعة لكتاب حديث عن أزمة تاريخية كبرى، وإنما مدخلاً إلى نقاش أوسع حول كيفية فهم الأزمات الاقتصادية: هل تكمن أسبابها في أخطاء الفاعلين الأفراد وسوء تقديرهم للمخاطر، أم أن بعض المخاطر يتولد من بنية النظام الاقتصادي نفسه ومن تفاعل قرارات الفاعلين داخله؟

هيئة التحرير

ترجمة المراجعة

يُعد كتاب لياقات أحمد الجديد تمهيداً زمنياً لكتابه الصادر عام 2009 بعنوان "أسياد المال: المصرفيون الذين تسببوا في انهيار العالم" *Lords of Finance: The Bankers Who Broke the World*، والذي حاز على جائزة بوليتزر في التاريخ. ففي حين تناول كتاب "أسياد المال" جذور الكساد الكبير، يبحث الكتاب الجديد في فترة الكساد العالمي المديدة التي بدأت عام 1873؛ إذ يرى أحمد أن كساد



مراجعة كتاب

عام 1873 يمثل حدثاً فارقاً في التاريخ الاقتصادي، نظراً لما انطوى عليه من أسباب وعواقب تتسم بطابع "حديث" حقيقي (ص xvi).

على خلاف العديد من الباحثين في التاريخ الاقتصادي، لا يُعد أحمد أكاديمياً قضى مسيرته المهنية في السلك الأكاديمي؛ بل حظي بمسيرة مهنية طويلة شملت العمل في كل من القطاعين العام والخاص، بما في ذلك عمله لدى صندوق النقد الدولي وفي "ول ستريت" في مجال محافظ الأوراق المالية ذات الدخل الثابت *fixed income security portfolios*. وتنعكس هذه الخلفية بوضوح في كتابه **1873**؛ إذ يجادل أحمد بأن أحد الأسباب الجوهرية الكامنة وراء الكساد العالمي عام 1873 تمثل في تطور أسواق رأس المال الفردية *individual capital markets*، وتحديدًا الانتشار الواسع للأوراق المالية ذات الدخل الثابت *fixed-income securities*، أو ما يُعرف عمومًا بـ "السندات" *bonds*. فقد أدى النمو الاقتصادي في منتصف القرن التاسع عشر — ولا سيما في أوروبا — إلى تراكم رؤوس أموال كانت تبحث عن فرص استثمارية (ص 5-6)، وقامت المؤسسات المالية الوسيطة، وفي مقدمتها البنوك، بالربط بين المدخرات المتراكمة وتلك الفرص المتزايدة، التي ارتبطت بشكل خاص بالتقنيات الناشئة آنذاك، مثل السكك الحديدية.

تتمحور بنية الكتاب حول أربعة محاور رئيسية، هي: الفاعلية البشرية [القدرة على الفعل واتخاذ القرار]، و"الحظ" (أو الأقدار المتقلبة)، والتغير التكنولوجي، والمخاطر *agency, "fortuna," technological change, and risk*. ومن خلال هذا الطرح، يناقش المؤلف بنفسه عن السرديات الكبرى التي تعزو الأحداث والتطورات إلى قوى جماعية؛ بل يقدم حجة مقنعة مفادها أن القرارات الفردية والأحداث غير المتوقعة — وطبيعة استجابة الأفراد والمؤسسات لها — هي التي صاغت فعلياً أحداث تلك الحقبة الممتدة لعشرين عاماً والتي بدأت في عام 1873، وهي الفترة التي يُشار إليها أحياناً باسم "الكساد الطويل" *"long depression."*¹

يستعرض أحمد أمثلة عديدة تجسد دور الفاعل الإنساني وأثر القرارات الفردية؛ وقد برز في هذا السياق حضور قوي لعائلة روتشيلد *Rothschild*، التي راکمت ثروة

¹ راجع الرؤية المختلفة التي عرضناها في الملحق رقم 2 في آخر الترجمة.



مراجعة كتاب

طائفة خلال أوائل القرن التاسع عشر. وقد تحقق نجاحهم بفضل تمويل جانب كبير من الثورة الصناعية الجديدة،² فضلاً عن تقديم الدعم المالي والخدمات لجميع الحكومات الأوروبية الكبرى من خلال إصدار السندات (ص 11-13). وعلى النقيض من عائلة روتشيلد — التي اتسمت بقدر كبير من الانضباط والحكمة في ممارسات الإقراض — أقدم مصرفيون وممولون منافسون، أمثال جورج بارينغ و جاي كوك وباروخ ستراسبورغ George Baring, Jay Cooke, and Baruch Strausburg، على خوض مخاطر أكبر بكثير انتهت بهم إلى الإفلاس (ص xiv، 102، 152).

في حين برز العديد من الأفراد واكتسبوا شهرةً بصفاتهم ممولين خلال الفترة التي سبقت عام 1873، كان هناك أيضاً عدد لا يحصى من المستثمرين العاديين الذين ضخوا أموالهم في أسواق الأسهم التي كانت تدرّ عوائد مرتفعة في بادئ الأمر. وقد شهدت البورصات في جميع أنحاء أوروبا نشاطاً ملحوظاً، ولا سيما بورصة فيينا التي أصبحت بحلول عام 1873 ثاني أكبر بورصة في أوروبا، تليها لندن مباشرةً (ص 72-74). ولقد دفع مشهد تشييد القصور الفخمة في شارع "رينغ ستراسه" Ringstrasse — والتي أقامها في الغالب أفراداً من طبقة الأثرياء الجدد — صغار المستثمرين إلى استثمار مدخراتهم بكثافة في أوراق مالية كانت، في نهاية المطاف، مبالغاً في أسعارها (ص 67-68).

يبرز حضور مفهوم "الحظ" (أو "القدر"/ fortuna) بوضوح في ثنايا السرد؛ إذ يشير أحمد إلى مثالين هاميين ومتزامنين تقريباً، وجد فيهما المستثمرون أنفسهم على حين غرة أمام أحداث أحدثت اضطراباً هائلاً في أسواق المال. تمثل المثال الأول في الحرب الفرنسية البروسية (1870-1871) (ص 42-43، 48)، وتلاه الإلغاء السريع لاعتماد الفضة كعملة نقدية من قبل عدة دول — بما فيها الولايات المتحدة — في الفترة ما بين عامي 1871 و 1873 (ص 160-164). وقد أذن هذا الحدث الأخير أيضاً ببدء مرحلة طويلة من الانكماش الاقتصادي، حيث فاق معدل نمو إنتاج

² الثورة الصناعية الأولى بدأت في بريطانيا في أواخر القرن الثامن عشر، ثم انتشرت وتوسعت خلال القرن التاسع عشر إلى دول أوروبية أخرى. لذلك، كلمة "جديدة" "new" هنا لا تعني بالضرورة ثورة صناعية ثانية بالمعنى التاريخي الدقيق، بل تشير إلى الثورة الصناعية الحديثة في ذلك الوقت مقارنة بالنظام الاقتصادي القديم.



مراجعة كتاب

السلع — الناجم عن التقدم التكنولوجي — وبسرعةٍ معدل نمو المعروض النقدي العالمي (ص 247).

لطالما كان التغيير سمةً ملازمةً للتاريخ؛ ففي أواخر ستينيات القرن التاسع عشر وأوائل سبعينياته، كانت السكك الحديدية هي المحرك الرئيسي للتغيير التكنولوجي، إذ أدت إلى خفض تكلفة نقل البضائع والوقت المستغرق فيه بشكلٍ كبير. ونتيجةً لذلك، طُرحت إصدارات ضخمة من سندات السكك الحديدية — لا سيما في أوروبا — لتمويل عمليات الإنشاء في القارة الأوروبية والأمريكتين والأسواق الناشئة في الشرق الأوسط. وقد ضخ المستثمرون والبنوك استثمارات هائلة في هذه الأسواق العالمية الجديدة، لا سيما في الدولة العثمانية ومصر،³ حيث بلغت قيمة تلك الاستثمارات مبالغ ضخمة للغاية (ص 98-100، 180-182).

تلعب المخاطرة أيضاً دوراً بارزاً في أحداث عام 1873؛ فبالنظر إلى الماضي، نجد أن التهافت على جني الأرباح من الطفرة في قطاع السكك الحديدية أدى إلى تنافس كميات هائلة من رؤوس الأموال على الفرص الاستثمارية، مما أدى بدوره إلى تراخ في تقييم المخاطر. وقد تجلّى ذلك بوضوح في القروض الممنوحة للدولة العثمانية

³ "خلافاً للرأي القائل بأن أطراف الاقتصاد العالمي قد استفادت من التوسع السريع في التجارة، واجه الاقتصاد العثماني في الواقع ظروفاً عالمية غير مواتية بشكل لافت خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر؛ إذ انخفضت معدلات نمو التجارة الخارجية، وتدهورت شروط التبادل التجاري الخارجي، وتأثر المزارعون بانخفاض أسعار القمح، كما أدى فرض السيطرة الأوروبية على المالية العثمانية إلى سداد مبالغ ضخمة كديون للخارج. ونشير بيانات غير مباشرة إلى أن معدلات التغيير في الإنتاج الزراعي والإجمالي كانت أيضاً أقل خلال فترة "الكساد الكبير" مقارنة بالفترة اللاحقة."

هذا ملخص دراسة باللغة الإنجليزية حول آثار الكساد الطويل الذي ارتبط بأزمة عام 1873.

Pamuk, Şevket, "The Ottoman Empire in the 'Great Depression' of 1873–1896." *The Journal of Economic History* 44, no. 1 (1984): 107–118

[The Ottoman Empire in the "Great Depression" of 1873–1896 | The Journal of Economic History | Cambridge Core](#)

لذلك يمكن القول إن تداعيات أزمة 1873 لم تكن محصورة في المراكز المالية والصناعية التي شهدت الانهيار مباشرة، بل امتدت إلى الاقتصادات المرتبطة بها. وفي الدولة العثمانية، أسهمت أزمة 1873 في إنهاء تدفقات رأس المال الأوروبي وتفاقم الأزمة المالية، كما تزامنت السنوات التالية مع تراجع التجارة الخارجية وتدهور شروط التبادل وانخفاض أسعار الحبوب. وقد لا نجانب الصوب بالقول إن هذه التحولات انعكست، بدرجات متفاوتة، على الولايات العراقية من خلال ارتباطها بالتجارة والأسواق الإقليمية والدولية وبالمالية العثمانية.



مراجعة كتاب

ومصر، حيث سرعان ما اتضح أن الأموال المقترضة كانت تُبدد من قِبَل البلاط الإمبراطوري، وأن القدرة على السداد كانت معدومة (ص 180-181).

انتهى "الكساد الطويل" في أواخر تسعينيات القرن التاسع عشر، حين أدى اكتشاف احتياطات هائلة وجديدة من الذهب في جنوب أفريقيا إلى زيادة سريعة في المعروض العالمي من الذهب (ص 274). ومع ذلك، كانت الأضرار الجسيمة قد وقعت بالفعل؛ إذ تمت تصفية استثمارات رأس المال القائمة على المضاربة، وتكبد المستثمرون خسائر فادحة. وعانى عامة الناس بشدة خلال تلك الفترة الممتدة من الانكماش الاقتصادي؛ فقد تضرر المدينون، في حين حقق المقرضون —بما في ذلك البنوك التي صمدت في وجه الأزمة— أرباحاً طائلة (ص 247).

قد يشعر المؤرخون الاقتصاديون بخيبة أمل إزاء غياب الرسوم البيانية والجداول التي توضح حجم الكساد وتأثيره؛ فرغم أن الرسوم والجداول الواردة في كتاب **أسياد المال** *Lords of Finance* لم تكن كثيرة العدد، إلا أنها كانت مفيدة للغاية. ومع ذلك، اتخذ أحمد قراراً صائباً بالاعتماد كلياً على السرد القصصي في هذا الكتاب؛ ويعود أحد الأسباب الرئيسية لذلك إلى أن العديد من البنوك كانت مملوكة ملكية خاصة، ولا سيما من قِبَل فروع مختلفة لعائلة روتشيلد. وفضلاً عن ذلك، فإن أسلوبه السردى الأسر يعوّض عن أي قيمة كان من الممكن أن تضيفها العناصر البصرية.

يرى أحمد أن دروس عام 1873 مفيدة لفهم عالمنا المعاصر بشكل أفضل، وثمة أسباب وجيهة تؤيد وجهة نظره هذه. ففي حين كانت مستويات التنظيم والرقابة أقل صرامة بكثير عام 1873، إلا أن طفرة المضاربة كانت مدفوعة إلى حد كبير بحالة من الحماس المفرط تجاه التغيرات التكنولوجية، فضلاً عن سوء تقدير المخاطر وحالات عدم اليقين. ولا تزال هذه العوامل الجوهرية حاضرة ومؤثرة في عالمنا اليوم؛ فعلى الرغم من تعزيز الرقابة التنظيمية، لا يزال العالم ينجرّف أحياناً وراء حماس مفرط للتقنيات الجديدة، كما لا يزال يواجه تحديات في قياس المخاطر على النحو الملائم.

باختصار، يُعد كتاب 1873 إضافةً قيّمةً إلى مجال التاريخ الاقتصادي. لقد كُتبت مؤلفات عديدة حول حالات "الذعر" "panics" المالي وفترات الكساد التاريخية؛



مراجعة كتاب

فبينما يظل "الكساد الكبير" الذي شهدته ثلاثينيات القرن العشرين الحدث الأكثر دراسةً ضمن دورات "الازدهار والانهييار" الاقتصادي، حظيت فترات الانكماش الاقتصادي الأقل شهرةً — مثل تلك التي وقعت في الأعوام 1819 و 1837 و 1907 و 1921 — بتناولٍ بحثيٍّ خلال العقود القليلة الماضية. ومن اللافت للنظر أن "ذعر عام 1873" — الذي يُرجح أنه كان التراجع الاقتصادي الأشد وطأةً وتأثيراً قبل الكساد الكبير — لم يحظَ إلا بقدرٍ ضئيلٍ من الاهتمام.

يُشكّل كتاب أحمد مساهمةً مهمةً من خلال معالجته لهذه الفجوة؛ إذ ينجح سرده في توضيح كيف تضافرت عوامل عدة — تمثلت في الإرادة البشرية، وتقلبات الحظ، والتغير التكنولوجي المتسارع، وتحدي استشراف المستقبل العصي على الإدراك — في الدفع نحو الأحداث التي اندلعت عام 1873. وهي دروسٌ تظل حاضرةً وذات صلة وثيقة بواقعنا المعاصر.

ملحق رقم 1

المحور الغائب: التأمين كامتداد طبيعي لمفهوم الخطر

وأنا أعمل على ترجمة هذه المراجعة، لفت انتباهي غياب الإشارة إلى التأمين، الذي كان حاضراً في نقاشات الاقتصاد السياسي الكلاسيكي منذ كتاب آدم سميث *ثروة الأمم*، وهي مسألة تناولتها بمزيد من التفصيل في كتاب *مكانة التأمين في الاقتصاد السياسي الكلاسيكي*.⁴ وهو ما دفعني إلى كتابة هذا الملحق.

ولا أقصد بذلك القول إن التأمين كان ينبغي أن يكون موضوعاً مركزياً في كتاب لياقت أحمد، أو أن غيابه يمثل نقصاً في تفسيره لأزمة 1873، وإنما أقترح النظر إليه بوصفه عدسة تحليلية إضافية تتيح توسيع مفهوم الخطر الذي يحتل موقعاً مهماً في الكتاب.

⁴ مصباح كمال، *مكانة التأمين في الاقتصاد السياسي الكلاسيكي*، مخطوط كتاب مقدّم للنشر.



مراجعة كتاب

يمكن إدخال التأمين في قراءة 1873 بوصفه امتداداً طبيعياً لمفهوم الخطر الذي يشكل أحد محاور الكتاب، إلى جانب الفاعلية البشرية، أي القدرة على الفعل واتخاذ القرار، و"الحظ" أو تقلبات الأقدار، والتغير التكنولوجي. فالتأمين يمثل تاريخياً إحدى أهم الآليات المؤسسية التي طورتها المجتمعات الحديثة للتعامل مع بعض أشكال عدم اليقين، من خلال تحديد الأخطار وتجميع الحالات المتشابهة وتقدير احتمالات الخسارة وتوزيع آثارها بين عدد كبير من حملة الوثائق.

واللافت في سرد 1873، كما يعرضه المراجع، أن الخطر يظهر أساساً من خلال قرارات المستثمرين والمصرفيين وتقديراتهم للمستقبل، ومن خلال الأحداث غير المتوقعة التي يمكن أن تقلب الأسواق رأساً على عقب، بينما لا يظهر التأمين بوصفه آلية مؤسسية موازية للتعامل مع هذه المخاطر. وهذا الغياب جدير بالملاحظة بوجه خاص لأن الفترة التي يتناولها الكتاب كانت أيضاً مرحلة مهمة في تطور التأمين الحديث واتساع نطاقه. فقد أصبحت بعض الأخطار المرتبطة بالحياة والممتلكات والنقل والصناعة قابلة للتجميع والتسعير والتوزيع، الأمر الذي أضاف إلى التعامل مع عدم اليقين بعداً مؤسسياً لم يكن قائماً بالطريقة نفسها في المراحل السابقة.

ومن هذه الزاوية، يمكن للتأمين أن يضيف بعداً مؤسسياً إلى ثنائية أحمد بين الفاعلية البشرية و"الحظ". فالمستثمرون والمضاربون والرأسماليون لا يواجهون مخاطر الاستثمار والائتمان والمضاربة بقراراتهم الفردية وحدها، بل يلجؤون أيضاً إلى مؤسسات وآليات تهدف إلى توزيع بعض المخاطر والحد من آثار الخسائر المترتبة عليها. ويأتي التأمين في مقدمة هذه الآليات، غير أن قدرة التأمين على إدارة الخطر تظل محدودة بطبيعة الخطر نفسه.

فقابلية التأمين *insurability* تفترض، في صورتها التقليدية، إمكان تحديد الخطر وتجميع الحالات المتشابهة منه وتقدير احتمالات وقوعه وحساب الخسائر المترتبة عليه، بحيث يمكن توزيعها بين عدد كبير من المؤمن لهم. ولهذا ينصرف التأمين أساساً إلى تغطية الخطر الصرف *pure risk*، أي الخطر الذي لا ينشأ عنه، من حيث طبيعته، إلا احتمال وقوع خسارة أو عدم وقوعها، ولا ينطوي على إمكانية تحقيق ربح من وقوع الحدث المؤمن منه. ومن ثم أمكن تأمين أخطار مثل الحريق والوفاة وأخطار النقل والمسؤولية، في حين يختلف الخطر المضاربي *speculative*



مراجعة كتاب

risk في طبيعته، لأنه ينطوي على إمكانية الربح أو الخسارة معاً، كما هي الحال في الاستثمار والمضاربة والتجارة.

وهنا تبرز أهمية التمييز بين الخطر الذي يمكن نقله إلى شركة التأمين والخطر الذي يظل جزءاً من النشاط الاقتصادي نفسه. فالمستثمر لا يستطيع، في التأمين التقليدي، أن ينقل إلى شركة التأمين خطر انخفاض سعر سهم أو سند نتيجة حركة السوق، كما يستطيع صاحب الممتلكات أن ينقل خطر الحريق أو صاحب السفينة بعض أخطار النقل البحري. فخسارة المستثمر الناجمة عن انخفاض القيمة السوقية لأصل مالي ليست حادثاً عرضياً مستقلاً عن السوق، وإنما قد تكون نتيجة مباشرة لحركة السوق وتفاعل توقعات وقرارات عدد كبير من الفاعلين. ولذلك ظلت الخسائر الناشئة عن تقلبات الأسواق أو عن فشل المضاربة خارج نطاق الحماية التي يوفرها التأمين التقليدي، وظلت جزءاً من المخاطر التجارية والمالية التي يتحملها المستثمر أو التاجر.

وهذا التمييز لا يخص القرن التاسع عشر وحده؛ فهو ما يزال قائماً، من حيث المبدأ، في الممارسة التأمينية المعاصرة. فوجود أدوات مالية حديثة للتحوط من بعض مخاطر السوق لا يعني أن شركات التأمين تؤمن المستثمر بصورة عامة ضد خسارته الناتجة عن انخفاض قيمة استثماره أو عن قرار مضاربي لم ينجح. ولذلك فإن المسألة ليست مجرد نقص تاريخي في تطور صناعة التأمين في سبعينيات القرن التاسع عشر، وإنما تتصل بطبيعة الخطر نفسه وبالحدود التي تفصل بين الخطر الذي يمكن تأمينه والخطر الذي لا يمكن نقله إلى مؤسسة تأمين بالطريقة التقليدية.

ومن هنا تكتسب أزمة 1873 أهمية خاصة من منظور تاريخ المخاطر. فقد كشفت عن اتساع مجال من المخاطر الاقتصادية التي لا توفر مؤسسة التأمين التقليدية حماية مباشرة منها، والتي تنشأ من حركة الأسعار وتفاعل الائتمان والاستثمار والمضاربة والتوقعات داخل نظام اقتصادي مترابط. وحين يصف مراجع الكتاب اندفاع رؤوس الأموال نحو فرص الاستثمار بأنه أدى إلى تراخ في تقييم المخاطر، وحين يربط الأزمة بسوء تقدير المخاطر وعدم اليقين، فإن ذلك يفتح مجالاً للتساؤل عن الحدود الفاصلة بين المخاطرة التي يمكن تحملها، والمخاطرة التي يمكن نقلها أو توزيعها، والمخاطرة التي تظل خارج نطاق التأمين التقليدي.



مراجعة كتاب

ولا تكمن أهمية هذه الملاحظة في القول إن غياب التأمين تسبب في الأزمة؛ فهذا استنتاج لا تدعمه طبيعة الأزمة. أهميتها تكمن في أنها تكشف اختلافاً في طبيعة الأخطار نفسها. فهناك أخطار يمكن تحويلها إلى موضوع للتأمين لأنها قابلة للتحديد والتجميع والتقدير، في حين أن مخاطر الأسواق تنشأ من تفاعل الفاعلين والأسعار والائتمان والتوقعات داخل النظام الاقتصادي. ومن ثم فإن أزمة 1873 لا تطرح فقط سؤالاً عن كيفية تقدير الفاعلين للمخاطر التي يواجهونها، وإنما تطرح أيضاً سؤالاً عن المخاطر التي لا يستطيع الفاعلون الأفراد نقلها أو التخلص منها، لأنها تنشأ من حركة النظام الذي يعملون داخله.

وهنا يصبح الانتقال إلى ماركس أكثر طبيعية. فبينما يساعدنا تاريخ التأمين على فهم ما كان يمكن للمؤسسات أن تؤمنه وما بقي خارج نطاق الحماية التأمينية، يتيح تحليل ماركس طرح سؤال مختلف: كيف يمكن أن تتولد المخاطر نفسها من داخل عملية التوسع الرأسمالي؟ فقد تبدو قرارات الاستثمار والاقتراض والمضاربة معقولة إذا نظرنا إلى كل منها منفرداً، لكن تفاعلها قد ينتج نتائج تتجاوز قدرة الفاعلين على التنبؤ بها أو السيطرة عليها. وبذلك ينتقل السؤال من تاريخ إدارة الخطر إلى تاريخ إنتاجه داخل النظام الاقتصادي.

ومن هذه الزاوية، لا يظهر التأمين في هذه المراجعة بوصفه موضوعاً منفصلاً عن حجة لياقت أحمد، ولا بوصفه نقصاً في كتاب 1873 بالضرورة، وإنما بوصفه امتداداً طبيعياً لمفهوم الخطر وعدسة تحليلية تكمل موضوعاته الأساسية. فهو يكشف جانباً من استجابة المجتمعات الحديثة لعدم اليقين: بعض الأخطار أمكن تجميعها وتسعيرها وتوزيع آثارها، بينما ظلت أخطار أخرى، ولا سيما المخاطر الناشئة من حركة الأسواق والمضاربة، خارج نطاق الحماية التأمينية التقليدية. ومن هنا يمكن أن تصبح أزمة 1873 مدخلاً لسؤال أوسع: ليس فقط كيف واجه الأفراد والمؤسسات المخاطر، وإنما كيف أنتج النظام الاقتصادي نفسه بعض المخاطر التي واجهوها.

ملحق رقم 2

ماركس وهوبزباوم وأزمة 1873



مراجعة كتاب

تتيح أزمة 1873 قراءة تتجاوز حدود الانهيار المالي نفسه، إذا نظرنا إليها من زاويتين متكاملتين: زاوية كارل ماركس، الذي كان يفكر في طبيعة الأزمات ودوريتها وفي التناقضات التي تظهر في حركة الاقتصاد الرأسمالي، وزاوية إريك هوبزباوم⁵، الذي وضع الأزمة في سياق التحول التاريخي للرأسمالية العالمية.

لم يكتب ماركس دراسة مستقلة عن أزمة 1873، ولم يترك نظرية مكتملة للأزمات في عمل واحد.⁶ لكن الأزمة وقعت في وقت كان تحليله للرأسمالية قد بلغ مرحلة متقدمة. ففي الكلمة الختامية للطبعة الثانية من المجلد الأول من رأس المال⁷، المنشورة قبل انهيار بورصة فيينا⁸ في مايو 1873 بقليل، أشار إلى أن التناقضات الكامنة في حركة المجتمع الرأسمالي تظهر بوضوح في التقلبات الدورية التي تبلغ ذروتها في الأزمات العامة، مضيفاً أن أزمة جديدة تقترب.

لا ينبغي فهم ذلك بوصفه تنبؤاً بأزمة 1873، بل بوصفه تعبيراً عن تصور أوسع: الأزمة ليست مجرد حادث مفاجئ أو نتيجة خطأ فردي، وإنما لحظة تكشف فيها التناقضات التي تراكمت خلال عملية التوسع نفسها. فارتفاع الاستثمار والإنتاج والائتمان قد يبدو علامة على قوة الاقتصاد، لكنه قد يهيئ في الوقت نفسه شروطاً لتحول الرواج إلى انكماش.

⁵ إريك هوبزباوم مؤرخ ماركسي بريطاني (1917-2012)، يُعد من أبرز مؤرخي التاريخ الاجتماعي الحديث. اشتهر بتحليله لنشوء الرأسمالية الصناعية وصعود الحركات العمالية، وصاغ مفهوم "القرن الطويل التاسع عشر" و"القرن القصير العشرين". من أهم أعماله رباعيته الشهيرة عن القرن التاسع عشر: عصر الثورة، عصر رأس المال، عصر الإمبراطورية وكتابه المؤثر عن القرن العشرين: عصر التطرف.

⁶ Paul Sweezy, *The Theory of Capitalist Development* (London: Dennis Dobson, 1946), pp133-134.

⁷ [Capital: A Critique of Political Economy, Vol. I. The Process of Capitalist Production - Econlib](#)

⁸ انهيار بورصة فيينا في أيار/مايو 1873. أزمة مالية حادة بدأت في 9 مايو 1873، حين انهارت أسعار الأسهم في بورصة فيينا بعد سنوات من المضاربة والتوسع الائتماني والعقاري. وانتقلت تداعياتها سريعاً إلى أسواق ومؤسسات مالية أخرى، وأصبحت من أبرز الشرارات التي ارتبطت بالأزمة الاقتصادية العالمية التي عُرفت لاحقاً بـ"الكساد الطويل".



مراجعة كتاب

وهنا يختلف السؤال الماركسي عن التفسير الذي يركز على قرارات المستثمرين والمصرفيين. فبدلاً من الاختصار على سؤال: من أخطأ في تقدير المخاطر؟، ينشأ سؤال عن الظروف التي جعلت هذه القرارات ممكنة ومعقولة في الأصل، وكيف أدى تفاعلها إلى نتائج تتجاوز قدرة الأفراد على التحكم بها. فالقرار الذي يبدو عقلانياً في ظل ارتفاع الأسعار ووفرة الائتمان قد يصبح، عندما يتكرر ويتشابك مع قرارات أخرى، جزءاً من دينامية أوسع للأزمة.

وتكشف رسالة ماركس إلى فريدريك إنجلز في 31 مايو 1873 جانباً إضافياً من هذا الاهتمام. فقد ناقش مع صاموئيل مور⁹ إمكانية الكشف عن أنماط في حركة الأزمات، من خلال دراسة حركة الأسعار ومعدلات الخصم وتمثيلها بيانياً. ولم يصل إلى نموذج رياضي للأزمات، لكن الرسالة تدل على اهتمامه بالجمع بين البحث النظري ومحاولة اكتشاف أنماط فعلية في حركة الاقتصاد. ومع ذلك، فإن أفكار ماركس عن الأزمات بقيت موزعة في كتاباته ومراسلاته، وهو ما دفع اقتصاديين ماركسيين لاحقين، ومنهم إرنست ماندل¹⁰، إلى إعادة تركيب عناصرها في صورة أكثر انتظاماً.

بهذا المعنى، لا يقدم ماركس تفسيراً جاهزاً لأزمة 1873، وإنما يساعد في تغيير زاوية النظر إليها. فهو ينقلنا من البحث عن الأخطاء الفردية إلى دراسة العلاقات الاقتصادية التي تجعل بعض المخاطر قابلة للتراكم والتحول إلى أزمة عامة. وهذا يضيف إلى مفهوم الخطر الذي يحتل مكانة مركزية في كتاب 1873 بعداً بنوياً، فإلى جانب المخاطر التي يحاول الفاعلون تقديرها وإدارتها، هناك مخاطر قد تنشأ من ترابط أفعالهم داخل النظام الاقتصادي نفسه.

⁹ صاموئيل مور Samuel Moore، 1838-1911. محام بريطاني وصديق لماركس وإنجلز، وكان مهتماً بالرياضيات. تولى ترجمة الجزء الأكبر من المجلد الأول من رأس المال إلى الإنكليزية، ثم شاركه إدوارد أفيلنغ في إتمامها، وراجعها إنجلز وأشرف على تحريرها. صدرت الترجمة الأولى عام 1887. وكان مور من الأشخاص الذين ناقش معهم ماركس بعض المسائل الاقتصادية والرياضية.

¹⁰ إرنست ماندل Ernest Mandel، 1923-1995. اقتصادي ومنظر ماركسي بلجيكي، ومن أبرز الباحثين في الاقتصاد الماركسي في القرن العشرين. تناول في أعماله تطور الرأسمالية وأزماتها ودوراتها، ومن أشهر كتبه النظرية الاقتصادية الماركسية و الرأسمالية المتأخرة.



مراجعة كتاب

وإذا كان ماركس يساعدنا على طرح سؤال كيف يمكن أن تتولد الأزمة من داخل عملية التوسع الرأسمالي، فإن هوبزباوم يتيح الانتقال إلى سؤال آخر: ماذا تعني هذه الأزمة في التاريخ الأوسع للرأسمالية؟

يتناول إريك هوبزباوم أزمة 1873 أساساً في كتابه عصر رأس المال: 1848-1875¹¹، حيث تمثل انهيارات بورصة فيينا في مايو 1873 النهاية الدرامية لمرحلة التوسع الكبرى التي ميزت منتصف القرن. ولا يتعامل هوبزباوم مع الأزمة بوصفها موضوعاً اقتصادياً مستقلاً، بل بوصفها نقطة تحول في قصة أوسع: قصة توسع التجارة العالمية، وانتشار السكك الحديدية، ونمو الصناعة، وتدفق رؤوس الأموال، وتساعد المضاربة خلال العقود السابقة.

ومن هذا المنظور، لا تكمن أهمية 1873 في الانهيار المالي وحده، بل في أنها تكشف حدود مرحلة كاملة من التوسع الرأسمالي. فالعالم الذي شهد ازدهاراً سريعاً في منتصف القرن دخل بعد ذلك في فترة اتسمت باضطراب أكبر وتباطؤ في بعض القطاعات واشتداد المنافسة الاقتصادية، مع تحولات لاحقة في دور الدولة وفي بنية الاقتصاد العالمي وصعود الإمبريالية.

وهنا تتكامل الزاويتان. ماركس يضيء الآلية والتناقضات التي يمكن أن تجعل الأزمة تنشأ من داخل الرواج نفسه، بينما يضع هوبزباوم الأزمة داخل مسار تاريخي أوسع يفسر لماذا كانت 1873 نقطة انتقال بين مرحلتين من تطور الرأسمالية. الأول يركز على العلاقات التي تنتج الأزمة، والثاني على الدلالة التاريخية التي اكتسبتها الأزمة بعد وقوعها.

وبذلك لا تحل قراءة ماركس أو هوبزباوم محل التفسير المالي والمؤسسي الذي يقدمه كتاب 1873، بل توسع نطاقه. فالمضاربة والائتمان وسوء تقدير المخاطر والقرارات الفردية تظل ضرورية لفهم كيفية وقوع الانهيار؛ لكن السؤال الأعمق هو

¹¹ E. J. Hobsbawm, *The Age of Capital, 1848-1875* (London: ABACUS, 1977). First published 1975.

الفصل الثاني The Great Boom يرسم معالم الازدهار الكبير الذي بدأ بعد 1848 وبلغ نهايته في أوائل السبعينيات للتمهيد لفترة جديدة بدأت مع الكساد الذي تلا ذلك.



مراجعة كتاب

كيف تفاعلت هذه العناصر داخل اقتصاد آخذ في التوسع، وكيف أمكن لآليات النمو نفسها أن تنتج هشاشة جعلت هذا التوسع ينقلب إلى أزمة.

لماذا نهتم بماركس عند قراءة أزمة 1873؟

قد يبدو استحضار ماركس في قراءة أزمة 1873 غير ضروري إذا كان الهدف هو تفسير الأحداث المالية والتجارية التي قادت إلى الانهيار والكساد الذي تلاه. غير أن أهميته تكمن في أنه يوسع معنى الخطر، وينقل السؤال من تفسير الأزمة بوصفها نتيجة سلسلة من الأخطاء أو الأحداث المفاجئة إلى البحث في الشروط التي جعلت هذه الأخطاء والمخاطر ممكنة وقابلة للتراكم. فالأزمة لا تقع خارج النظام الاقتصادي، بل تنشأ داخل شبكة من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية تحدد ما يبدو آمناً ومربحاً، وتدفع الفاعلين إلى التوسع والاستثمار والاقتراض في فترات الرواج.

ومن هذه الزاوية، لا يقتصر السؤال على: لماذا أخطأ المستثمرون والمصرفيون في تقدير المخاطر؟ بل يمتد إلى سؤال أعمق: كيف يمكن لطريقة عمل الاقتصاد نفسها أن تنتج الظروف التي تجعل قرارات تبدو عقلانية في لحظتها تسهم، عندما تتراكم وتفاعل، في نشوء أزمة على مستوى النظام كله؟ فقد يكون كل استثمار أو قرض أو قرار مضاربة قابلاً للتفسير في ضوء المعلومات والظروف المتاحة للفاعل، لكن ترابط هذه القرارات قد ينتج نتائج لا يستطيع أي فاعل منفرد أن يتنبأ بها أو يتحكم فيها.

وهذا هو البعد الذي تضيفه قراءة ماركس إلى تحليل أزمة 1873. فهي لا تنفي أهمية الحظ أو التكنولوجيا أو سوء التقدير أو المؤسسات المالية أو التأمين أو قرارات المستثمرين، ولا تستبدل التفسير التاريخي والمالي للأزمة بتفسير واحد. وإنما تضيف مستوى آخر من التحليل، يميز بين الخطر الذي يحاول الفاعل الاقتصادي تقديره وإدارته، والخطر الذي ينشأ من العلاقات التي تربط الفاعلين بعضهم ببعض ومن تراكم قراراتهم داخل الاقتصاد.

وعلى هذا الأساس، لا تكمن قيمة ماركس في أنه ترك تفسيراً خاصاً ومتكاملاً لأزمة 1873، وإنما في أنه يتيح رؤية ما يقع خلف الحدث المالي نفسه. فهو يساعدنا على



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

مراجعة كتاب

فهم كيف يمكن أن يتحول الازدهار إلى أزمة، وكيف يمكن لآليات التوسع التي تولّد النمو أن تسهم، في ظروف معينة، في إنتاج الهشاشة التي تجعل الانهيار ممكناً. وإذا كان هوبزباوم يضع أزمة 1873 في سياق التحول التاريخي من مرحلة الازدهار الكبير إلى مرحلة جديدة من تطور الرأسمالية، فإن ماركس يساعدنا على النظر إلى العلاقات والتناقضات التي تتكون داخل عملية التوسع نفسها. وبذلك تلتقي القراءتان عند سؤال واحد: ليس فقط كيف انهارت الأسواق؟، بل كيف أمكن للنظام الذي أنتج الازدهار أن ينتج، في الوقت نفسه، الشروط التي قادت إلى الأزمة؟

* لياقت أحمد (مواليد 14 نوفمبر 1952 في كينيا) هو متخصص أمريكي في مجال الاستثمار ومؤلف كتاب "أسياد المال: المصرفيون الذين تسببوا في انهيار العالم" Lords of Finance: The Bankers (2009) Who Broke the World، الذي حاز على العديد من الجوائز، بما في ذلك جائزة بوليتزر للتاريخ لعام 2010.

للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة: https://en.wikipedia.org/wiki/Liaquat_Ahamed

** جون أ. مور، أستاذ التمويل والاقتصاد في كلية "والش" (Walsh College) في مدينة تروي بولاية ميشيغان. تتمحور اهتماماته البحثية الرئيسية حول التاريخ الاقتصادي وأثر التغير التكنولوجي على المجتمع.

John A. Moore is professor of Finance and Economics at Walsh College in Troy, Michigan. His primary research interests are in economic history and the impact of technological change on society.

*** مصباح كمال، كاتب في قضايا التأمين.

يمكن قراءة النص الإنجليزي للمراجعة بالنقر على الرابط التالي:

https://eh.net/book_reviews/1873-the-rothschilds-the-first-great-depression-and-the-making-of-the-modern-world/

Copyright (c) 2026 by EH.Net

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر.
<http://iraqieconomists.net/ar/>